الكاتب: د/ علي كرباع
ط.د/ مامور خليفة
جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي

عنوان المقال: الخلفية التاريخية لكتب المختارات الشعرية دراسة في بداية التأليف خلال العصر العباسي

البريد الالكتروني: korbaaali@gmail.com

تاريخ الارسال: 2019/04/29 تاريخ القبول: 2019/06/03 تاريخ النشر: 2019/06/30

الخلفية التاريخية لكتب المختارات الشعرية دراسة في بداية التأليف خلال العصر العباسي

الملخص بالعربية:

يتناول المقال الحديث عن الخلفية التاريخية للمختارات، وكيف كان ظهورها والغاية منها مشيرين إلى أهم الكتب المختارة كالمُفضّليات للمفضّل، و الأصمعيات للأصمعي ...، ومنها جاءت فكرة المنهج عند القدامى في تصانيفهم، فنشير إلى منهجين متباينين ، فأولهما كان الاختيار على أساس الجودة للنص الشعري؛ و هي البحث عن النصوص دون مراعاة غرضها الشعري، فجاء المفضل كنموذج حي لها ،ثانيهما الاختيار على أساس الموضوع الشعري، و الذي يُراعي فيه المؤلّف الغرض الشعري كالحماسة لأبي تمام.

الكلمات المفتاحية: المختارات الشعرية- التأليف – العصر العباسي- المعلقات- النفضليات

abstract:

The article deals with the historical background of the selections, and how their appearance and purpose, pointing to the most important books selected preferences for the preferred, and Asmayat for the author, and came the idea of the approach of the old in their classification, we referred to two different approaches, and like each approach, The selection based on the quality of the poetic text, which is the search for texts without taking into account its poetic purpose, came as a preferred living model, the second choice based on the poetic theme, in which the author takes into account the poetic purpose of the enthusiasm of Abu Tammam

مقدمة:

كان عرب الجاهلية أهل تنقُّل و ترحال، اضطرّهم إلى ذلك عيشهم ، كما تميَّزوا بصفاء الذّهن، و جودة القرائح ، إلاّ أن الأميّة و عدم توفُّر وسائل الكتابة لم تتح لهؤلاء القوم تدوين ما جادت به قرائحهم، و لمَّا حباهم الله بالإسلام ركنوا بالبلاد إلى الرُّقيّ والسؤدد،فحلَّت رياض العلم، فهمّوا بجمع تراثهم الأدبيّ و خاصّة الشّعري، فيه صفة حياتهم،ومصدر أفكارهم وآرائهم ،" فاستحق بذلك أن يسمى ديوان العرب "[1].

و كانت طرائق الجمع الخاصّة بالشعر العربي تختلف فيما بينها ،و من ذلك ما نراه كجمع شعر كل شاعر مستقل عن غيره، كأصحاب المعلّقات، أو جمع شعر كل قبيلةء كشعر الهذليّين، أوما كان يقوم به المصنّف أو العالم بمفرده في اختياراته للنّماذج الشّعرية التي يرى فيها الجودة و حسن السّبك و قوة الخيال. وهذا ما نجده عند أصحاب المختارات الشّعرية كالجمهرة [2]،و الأصمعيات ،و المفضّليات.[3].

و كل هذه المختارات غير مُصنَّفَة في موضوعها الشّعري، بل كانت تجمع عدة أغراض شعرية في عملية الجمع والانتقاء،دون مراعاة الغرض الذي تحتويه.

و أما بالنسبة إلى النوع الآخر من المختارات؛ والتي صُنِّفت حسب الموضوع الشّعري "كديوان الحماسة للبحتري و الحماسة لأبي تمام ..."[4].

فهذه المختارات استقلَّت بالغرض الشّعري دون أن تظم إليه غرضا آخر،و يمكن في هذا المجال القول : أنَّ التّقسيم السُّباعي الذي أتى به صاحب جمهرة أشعار العرب والذي سبق الكلام عنه؛ أنه من غير المّصنَّف، أنّه ابتداع جديد في حركة الجمع للأشعار العربية،وكذلك تسميته لأحد طبقاته بالمراثي جعله ينضوي تحت التصنيف .

و من ناحية الاختيار يرشد عز الدين إسماعيل إلى سبب الاختيار فيقول: " فإنّ الأشعار المختارة لا ترتبط بهذا التَّقصِّي لشعر شاعر أو شعر قبيلة ، إذ يُصدِر فيها جامعها ومختارها عن مبدأ أساسي؛هو أن تكون قصائدها – من وجهة نظره على أقل تقدير– طرازا عاليًّا من الشّعر، أو مُصوَّرة للمثل الأعلى الشّعري في بابها. وكذلك لم تكن الغاية جمع الشّعر وحصره، بل كانت – في الغالب – تُنتَخب مما هو مجموع و مدوَّن. ولمَّا كان هذا المجموع المدوَّن منذ البداية هو أشعار الجاهليين والإسلاميين،كان طبيعيّا أن تكون المختارات مُحَدَّدة بهذا الإطار"[5].

فهذه الاختيارات هي وليدة مجاميع شعريّة أفرزتها الأذواق النّقديّة لديهم، فاستحسانهم للنصوص بمقاييس الجودة والتحكُّم والتَّرابط هي التي جعلت أصحاب الاختيارات يجعلون من بعض النّصوص الشّعرية تفوق بعضها البعض.

و لقد وقع أول الاختيار لتلك الاختيارات على المُعلّقات دون تصنيف أو تدوين. أما التّسمية فلعلها لم ترد ولأول مرة إلا في جمهرة أشعار العرب عند أبي زيد القرشي، عندما حاول ابن عبد ربه(ت 328 هـ) أن يقدم شرحا لهذه التّسمية فذهب أن العرب في الجاهلية قد عمدت إلى سبع قصائد تَخَيَّرتها و كتبتها بماء الذهب وعلّقتها في أستار الكعبة ويُذْكر أنّ حمّاد الرّاوية* هو الذي جمعها .[6]

و إن كان النّقاد – أصحاب الاختيارات – قد اختلفوا في تلك القصائد، " فالمُعلقات سبع عند الزّوْزني، وسبع عند القرشيّ،وتسع عند بن النّحاس، وعنوان مجموعته القصائد التسع، وعشر عند التَّبْريزي ، وعنوان مجموعته المعلقات العشر "[7].

و إنّ هذا الاختلاف في الاختيار له أسس علميّة قائمة على الثّقة المتبادلة فيقول عبد العزيز بنوي وهو في معرض حديثه عن المعلقات خاصة والشّعر الجاهلي عامة:" فحريُّ أن نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته، و مع ذلك ينبغي أن نُخضِعه للامتحان، و أن نرفض بعض ما رووه على أسس علمية منهجية، لا مجرد الظّن" [8].ونلمس من خلال كتابه أنّه قد جنح إلى رواية التّبريزي، والتي عنوانها المعلقات العشرً.

و على علم أنّ بداية المختارات كانت قائمة على الشّعر الجاهلي كركيزة أولى للشّعر العربي، فهو تاريخهم و ديوانهم، ولكن أصحابها لم يقتصروا على ذلك العصروحده، فنجدهم يختارون نصوصا جيّدة من العصرين الإسلاميّ و الأموي .

و كتب الاختيارات في مُجملها هي التي وضعت عيون الشّعر، وأحسنه و أقواه تماسكا وجودة ،وسعت للبحث عن ذلك منذ البداية .

و قد بَيَّنَ الرّافعي في تاريخ آداب العرب أنّ بداية الاختيارات والمقاييس النّقدية التي جعلتهم يميلون إلى نص شعري دون غيره قائلا:" و هي الكتب التي وُضعت لانتقاء عيون الشّعر أولا .... الذي يؤاتي الأذواق على رغباتها، ويُتابع النّفوس بمطالبها، حتى قالوا:دلّ على عاقل اختياره، واختيار الرّجل من وفور عقله "[9].

و الآن سنحاول الإشارة إلى أهم المختارات الشّعرية، إجمالا دون حصر، محاولين التّنويه إلى أهمها :

1- **المعلّقات :** و قد تمت الإشارة إليها باعتبارها أنفس الشّعر العربيّ، وكانت تُروى مشافهة قبل أنْ تكتب في مصنَّف واحد عند أصحاب الاختيارات .

2- **المفضّليات**: [10]،و هي للمفضّل الضّبي :وهو أبو العباس المفضّل بن محمد بن يعلى الضّبّي الكوفي اللّغوي ... ليس هناك خبر يحدد مولده، لكن عبد السلام هارون في تعليقه على حادثة أسره سنة 125 هـ أنه في العشر الأول من القرن الثاني [11]،كما اختلف العلماء في سنة وفاته فقيل 168 هـ، و قيل 171 هـ، و قيل 178 هـ.

أمّا عن سبب اختياره لهذه المجموعة؛أنّ أبا جعفر المنصور عَهِد إلى المفضّل بتعليم ابنه المهدي،"فإن المفضّل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي، ثم قُرئت على الأصمعي فصارت مائة و عشرين " [12].

و من خلال كلام الرَّافعي يُلْمَس أن هناك زيادة في عدد القصائد المختارة، وهذا ما أشار إليه عبد العزيز بنوي؛" فهي مائة و ست و عشرون قصيدة و مقطوعة في أقل الروايات، و مائة و ثلاثون في أوسعها"[13].

وأما عز الدين إسماعيل فكأنّه متردّد للفصل في عددها حين قال:" تظم مائة وثلاثين قصيدة، وقد كان المعروف منها إلى عهد بن النديم 128 قصيدة ،قد تزيد وتنقص "[14]، وقد نسب أحمد شوقي هذه الزيادة على الثّمانين هي من وضع تلميذه الأصمعي[15].

و أما عن أصحاب تلك القصائد "فنجدها قد اشتملت على شعراء جاهلّيين، وقليل منهم مخضرمون، وأقل منهم إسلاميون "[16].

3- **الأصمعيات** : أمّا الأصمعيات فهي نسبة إلى جامعها الأصمعي عبد الملك بن قريب، ونسبته إلى جدّه أصمع، كان رَاوَية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشّعر والبلدان، ... كان كثير الطّواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقّى أخبارها ويُتْحِف بها الخلفاء... توفي سنة 216 هـ، وكتابه الأصمعيات وهو من المجموعات الشّعرية القديمة ،ويظمّ مختارات من الشّعر الجاهلي، والمخضرم والإسلامي، الذي يمتد حتى أواسط العصر الأموي .[17] و كما أسلفنا الذّكر أنّ الأصمعي تلميذ للمفضّل، فقد اشترك معه في تسع عشرة قصيدة، وهي تزيد قليلا عن نصف عدد أبيات المفضليات؛تتألف من اثنين و تسعين قصيدة ومقطوعة، لواحد و سبعين شاعرا، "منهم أربعة وأربعين شاعرا جاهليّا، وأربعة عشرة مخضرما، وستة إسلاميّين، وسبعة مجهولين"[18].

4- **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام** : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي،وهي أول كتب المختارات محتوية على مقدمة نقدية قيِّمة[19].

هذا ما يمكن الحديث عن في جانب المختارات الغير المصنّفة موضوعيّا،أما بالنسبة للمختارات المصنّفة والتي تسمّت بأحد الأغراض فسنقتصر على الحماسة للبحتري دون الحماسات الأخرى، كالحماسة الشجريّة المنسوبة إلى الشريف ضياء الدين أبي السّعادات هبة الله بن علي بن محمد،الذي يُعرف بابن الشجري ، والحماسة البصريّة التي صنّفها صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، غير الحماسة لأبي تمام التي سنتناولها في المبحث الثاني كنموذج عن الاختيارات المصنّفة على أساس الغرض الشّعري، بالرغم من أنّها اللَّبِنة الأولى في هذا النوع من الاختيارات .

5- **ديوان الحماسة للبحتري** : وهو الشّاعر العباسي الكبير أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتريّ، عاش في القرن الثالث للهجرة، جمع في شعره بين جزالة البدو ورِقَّة الحضر، وكانت بين البحتري وأبي تمام صلة وثيقة وهو كذلك يعد أحد تلاميذه [20].

فهو شديد التّأثر به حيث ،" وضع مختاراته الشّعرية ،وهو يتفق مع أبي تمام في تفضيل الشّعر الجاهليّ والإسلامي عامة على الشّعر الأموي والعباسي، ... و قد جاءت حماسته في مائة وأربعة و ستين بابا "[21]، وهناك من النّقاد من رأى أن التّفصيل عند البحتري هو تمديد لأبواب الحماسة عند أبي تمام "ولو شئنا أن نُجمل أبوابه الـ164 في أبواب رئيسيّة كأبواب أبي تمام لانتهت إلى أربعة أبواب "[22]، وهذه الأبواب: هي باب الحماسة، وباب الشّباب والمشيب، وباب الأدب، وباب الرثّاء.ويُعتبر البحتريُّ مُقلِّدا محترفا لأستاذه في اختيار أصحاب الشّعر في العصر الجاهليّ كامرئ القيس و حاتم ... و المخضرمين كالخنساء ... و الأمويين كجرير والفرزدق.... [23].

وهنا قد اختلف البحتري عن غيره،إذ اهتمّ ببعض الشّعراء اهتماما بالغا، فكان الاختيار لهم أكثر من غيرهم، ولعل ذلك راجع لتمسُّكهم بالصورة الأولى للقصيدة العربية شكلا ومضمونا،فلم تخرج عن تلك الأغراض القديمة،يقول عز الدين إسماعيل :على أنّ بعض الشّعراء قد استأثروا حتى أنّه اختار لكل منهم عشرة نماذج فأكثر،وهم :الأحوص بن محمد الأنصاري، وأبو الأسود الدؤلي ،وأعشى قيس ،وحسان بن ثابت ،وأبو زيد الطائي ،وزهير بن أبي سلمى ،....ولاشك في أن إكثار البحتري من الاختيار لهؤلاء كانت توجّهه القيم المعنوية

والسلوكية التي شغل نفسه بها في معظم الحماسة .ولكنه في الوقت نفسه –وبطريقة غير مباشرة – سجّل قدرا كافيا من النّماذج التي يمكن أن يستدلّ منها على نَفَس كل شاعر منهم بخاصة من لم نعرف لهم دواوين خاصة [24].

وأن هناك بعض الدارسين قد شكّكوا في اختيار البحتري لهذه التسمية (الحماسة*) لكننا نجد الفاخوري قد نسب التسمية له .[25]

و مما يؤخذ عن البحتري إسقاطه لغرض الغزل و النّسيب، واكتفى بذكر حال النّساء في جانب الرثّاء، وقد أسقط شعر الرّجال .[26]

و من خلال هذه الجولة مع تلك المختارات يظهر لنا أنّ أصحابها قد تباينت مناهجهم في جمعها وتصنيفها، وهي مجاميع يمكن أن نُقَسِّمها إلى قسمين : قسم يعتمد على الجودة كأساس للاختيار، دون مراعاة الغرض الشّعري، وقسم يجعل من الموضوع الشّعري دليلا إلى هذا التصنيف.

الإحالات والهوامش:

[1] - زيد بن محمد بن غانم الجهني ، الصورة الفنية في المفضليات ، أنماطها و موضوعاتها و مصادرها و سماتها الفنية ، مكتبة الملك فهد ، المدينة النبوية ، ط 1 ، 142 هـ ، ج 01 ، ص 26.

[2] - أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي جمهرة أشعار العرب ، طبعت بتحقيق محمد البجاوي دار النهضة ،(د ط)،1981، سنتناولها فيما بعد .

[3] - ينظر زيد بن محمد بن غانم الجهني ،الصورة الفنية في المفضليات و عدة شروح أخرى .

[4] - رابح العوبي ، ضروب في النقد العربي خلال القرن الثاني والثالث للهجرة ، ط 1 ، 2005 ، ص 28 .

[5] - عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة ، الأردن، ط1، 2003 ، ص58.

* ولد حماد الراوية سنة 694 م بالكوفة ، ديلمي الأصل ، ينظر كارل برو كلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية :عبد الحليم النجار ،دار المعارف ط5 ،(دت)ج1 ،245

[6] - ينظر عز الدين إسماعيل - المصادر الأدبية و اللغوية ، ص 58 .

[7] - عبد العزيز بنوي ، موجز تاريخ الشعر العربي ، الهيئة المصرية العلمية للكتاب ،(د ط) ، 2006 ، ص 17 .

[8] -المرجع السابق، ص 15 .

[9] - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1،2000، ج 03 ص 266 .

[10] - كانت لي دراسة مفصلة حول المفضليات وحماسة أبي تمام وذلك في أطروحتي للدكتوراه المعنونة ب " المقاييس النقدية في كتب المختارات الشعرية وشروحاتها المفضليات وحماسة أبي تمام أنموذجين ، بجامعة باتنة 2016

[11] - ينظر زيد بن محمد الجهني، الصورة الفنية في المفضليات ، ج 01 ، ص 28 – 29، ينظر أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ،الفهرست ،تحقيق رضا تجدد،(د ط) ، (د ت) ، ج1ص 75 ، لم يجعل له تاريخ الوفاة ، و كذلك موجز تاريخ الشعر العربي ، ص 17 .

[12] - الرافعي ،تاريخ آداب العرب ، ج 03 ، ص 266 .

[13] - عبد العزيز بنوي ،موجز تاريخ الشعر العربي ، ص 17 .

[14] - عز الدين إسماعيل ،المصادر الأدبية و اللغوية ، ص 64 .

[15] - ينظر أحمد شوقي ، من المصادر الأدبية و اللغوية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ،(د ط) ، 1990 ، ص 27 .

[16] - عز الدين إسماعيل ،المصادر الأدبية و اللغوية ، ص 64 .

[17] - ينظر محمد فاخوري ، مصادر التراث و البحث في المكتبة العربية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، جامعة حلب ، (د ط)، 1996 ، ص 20 .

[18] - الطاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 8 ، 1999 ، ص 108.

[19] -للاستزادة ينظر مذكرتي للماجستير بعنوان ،المختارات الشعرية وقيمتها النقدية جمهرة أشعار العرب أنموذجا . جامعة باتنة 2012.

[20] - ينظر محمد فاخوري ، مصادر التراث والبحث ، ص 33 .

[21] - أحمد شوقي ،من المصادر الأدبية و اللغوية، ص 52 .

[22] - عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية و اللغوية، ص 89 .

[23] - ينظر محمد فاخوري، مصادر التراث العربي، ص 56 .

[24] - ينظر عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية و اللغوية ، ص 91 .

* في هذه النقطة تجدر الإشارة إلى كتاب المصادر الأدبية واللغوية، لعز الدين إسماعيل ، ص 88 .

[25] - ينظر محمد فاخوري، مصادر التراث والبحث ، ص 34 .

[26] - ينظر عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية و اللغوية ، ص 90 .